استدعاء الموروث الديني في شعر تميم البرغوثي
ديوان (في القدس) أنموذجاً

د. هبة مصطفى جابر[١]

د. هنـاء عمــر خليــل[٢]

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى اكتناه أثر الموروث الديني في الشعر العربي المعاصر، متخذة من شعر تميم البرغوثي في ديوانه الموسوم بـ: "في القدس" نموذجاً. وتبيّن الدراسة وفرة قصص الأنبياء عليهم السلام ولا سيما الأنبياء: محمد، وعيسى، وآدم، ونوح، وإسماعيل، إذ كان الارتكاز مبنيّاً على استحضار أهم الأحداث التي مروا بها، وبعض المعجزات التي تميزوا بها، وكان للنص التميمي دوره في استلهام هذه الموروثات، وإسقاطها على الواقع الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية، والقضية الفلسطينية بوجه خاص.

وتنبثق أهمية هذه الدراسة من الكشف عن سعة اطلاع الشاعر على التراث الديني الذي استطاع من خلاله تقديم رؤية واضحة عن الوضع الذي يعيشه العرب في الوقت الحاضر للقارئ في رؤية جديدة، ووعي سديد، تاركاً له حرية التفاعل مع نصوصه، وإدراكها، في ضوء وعيه بهذا التراث من جهة، وصلته بالقضية من جهة أخرى.

---

(١) جامعة الحدود الشمالية.

(٢) جامعة الإسراء.

Abstract

Calling the religious heritage in the poetry of Tamim Al-Barghouthi/ as Al-Quds collection model

This study seeks to insight and taste the impact of religious heritage in the Modern Arabic Poetry, inspired by Tameem Barghouthy poetry in his collection titled by "In Jerusalem" a model. The study shows the abundance of the stories of the prophet, in particular: Mohammad, Eisa, Adam, Noah and Ismael, based on getting the most important events prophets through and passed by, some of miracles they were marked by, Tameem's script played role in inspiration of these heritages and reflect them on the Arab and Islamic nations reality and Palestinian cause in particular.

The importance of this study comes to reveal the poet knowledge of the religious heritage which enable to present him clear vision about the current situation Arab life that time of the reader present in new vision, with right conscious, leaving the freedom of interaction with his scripts and understand it in the light of his consciousness on heritage, on one hand, and relevance to the context of the cause on the other hand.

المقدمة

مما لا شك فيه أن التراث يدل على مجموعة من العادات والتقاليد، والقيم، والمنجزات الحضارية والفكرية والثقافية لأمة ما، تحدد ماهيته وتتبلور مفاهيمه وفق إطاريه المكاني والزماني، ثم تنتقل المحمولات الدلالية لهذه القيم في أذهان الأفراد معبرة عن ردود أفعالهم تجاه المواقف المتباينة التي يتعرضون لها في واقعهم المعيش. وعليه، فإن القيمتين: الفنية والأدبية لهذا الموروث تعمقان القيمة الإبداعية الفنية للمبدعين الذين يستترون خلفه بغية توصيل أفكارهم وعلاقاتهم بما حولهم بدرجات متفاوتة.

من هنا جاء الموروث في ذهن الشاعر العربي الحديث "ليكون متميزاً بحكم تطور وعي الشاعر: موقفه ومفهومه للثقافة، والثقافة في الشعر واختلاف أساليب التعبير والتشكيل الشعري"[(١)]؛ فينتج كينونة خاصة تمثل معادلة متكافئة بين الشاعر ونصه المرتكز على الموروث.

وانطلاقاً من ذلك، فإنَّ توظيف الموروث يُستحضَر في تجربة الشاعر المعاصر، بوصفه غذاءً رئيساً يمده بأسباب الاستمرار والبقاء، ويخلق عنده جواً من الإبداع الذي يتعالق فيما بعدُ بالنص الشعري، فيُظهر مهاراته الكامنة من خلال تعالق هذا النص بالموروث المرتبط فيه.

والمتتبع لفكرة الموروث عند الشعراء المعاصرين، يستطيع اكتناه الأثر الذي يتركه هذا الموروث في فكرهم أولاً وفي إنتاجهم الأدبي ثانياً، ذلك "أننا لا نعود إلى غائب أو مخزون، وإنما نعود إلى ذواتنا الثقافية والتاريخية بقصد تحليلها وتفسيرها

---

(١) طراد الكبيسي، **التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث**، منشورات دار الثقافة والفنون، ط١، بغداد، ١٩٧٨م، ص١١.

لمعرفة مواطن الزلل والصواب في بنيتها"[١]. وهذا عينه ما يفعله الشاعر المعاصر الذي ينتقي بوعي وحرص كبيرين من هذا الموروث ما يشاء، ويسقطه على واقعه بغية تسليط الضوء على قضية ما منوهاً أو معرّضاً بها، داعياً القارئ ليشاركه في عالمه الخاص منتجاً نصاً أدبياً ذا معايير خلاقة وأبعاد عميقة وبنّاءة.

ويتجلى موقف الشاعر من التراث في إطار بعدين اثنين؛ الأول: الالتزام بقضية تهم الرأي العام في قالب تجريدي تعميمي.

والثاني: حمل هموم خاصة للمبدع نفسه استعصى عليه إبرازها دون الاتكاء على هذا الموروث لما يحمله من أهمية وحضور في فكره، استقاها من ذاكرة الشعب، وذاكرته الثقافية "فالموروثات لا تموت بل تظل في ذاكرة الجماعة وبالتالي في ذاكرة الأفراد بنسب مختلفة"[٢]، فتصبح هذه الموروثات بمثابة حل لشفرات النص التي يوجّهها الشاعر في نصه الأدبي، مشحونة بإشارات، وعلامات، تاركةً للقارئ فرصة ملء فراغات النص المتخلّقة في ذاته هو. ومع تعاظم القضايا والمشكلات في العصر الحديث، لا نجد غرابة في لجوء الشاعر إلى تمثيل الأحداث عامة، والسياسية خاصة، في نتاجه الأدبي، من غير فصلها عن الموروث الذي يمده –بدوره– بأسباب التألق الفكري، فيعمل على تكثيف الفكرة الملحة عليه، فيقدمها متناغمة مع وسائط التعبير الأخرى في نصه الشعري. ومنها نماذج ومعطيات "تستطيع أن تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها؛... ولأن هذه المعطيات من التراث الذي يكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة، ونوعاً من اللصوق بوجدانها"[٣]،

---

(١) أحمد يوسف علي، **التراث ونقد الشعر**، دار النديم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨م، ص١٨.

(٢) مدحت الجيار، **الشـــاعر والتراث دراســـة في علاقة الشـــاعر العربي بالتراث**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، مصر–الإسكندرية، ص١٩.

(٣) علي عشري زايد، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط١، طرابلس، ١٩٧٨م، ص١٨.

فإن الاقتباس من الموروث وسيلة ناجعة للكشف عن صراعه الداخلي، ورفضه المتكرر لواقعه المضطرب، داعياً أمته للإحساس بمعاناته.

ولا غرو أن يدخل الموروث في النصّ التميمي ليشكل روح القصيدة المستلهمة من فكر الشاعر، وهو يحيلنا بصورة أخرى إلى ظاهرة لغوية وهي التناص، إذ إنه يعتمد في تمييز آلياته على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الكشف عن النصّ المرجعي والنص الشاهد الذي امتزج به، فالتناص بوصفه آلية من آليات النص اللغوية يوجهنا إلى الكشف عن النصّ المرجعي المندغم بروح القصيدة من خلال "التلاعب بأصوات الكلمة والتصريح بالمعارضة، واستعمال لغة وسط معين، والإحالة على جنس خطابي برمته"(١)، وهذه الوسائل ما هي إلا مؤشرات تجعل النصّ يقرأ الموروثات المبثوثة في جسم القصيدة ويعيد تشكيلها في بؤرة معينة واحدة.

ومن هنا تسلط الدراسة الضوء على واحدة من القضايا الفكرية والسياسية التي تختلج في أعماق الأمة العربية والإسلامية، وهي القضية الفلسطينية التي كانت وما زالت مثار نزاع أبدي بين الصهاينة بوصفهم محتلين غاصبين، والشعب الفلسطيني بوصفه صاحب حقّ مشروع لأرضه المسلوبة، وأنموذجَ صمودٍ وتحدٍّ أبدي أمام هذا الغاصب الدخيل؛ فكان لتميم البرغوثي تلك المساحة الواسعة في تمثيل قضية بلاده، وصوتٌ مدوٍّ في الساحة الفكرية والسياسية والأدبية.

وارتأت الدراسة استحضار فكره من خلال اعتماد ديوانه الموسوم بـ"في القدس" للكشف عن حجم الاعتماد على توظيف الموروث في الحديث عن قضية فلسطين ودلالاته.

---

(١) محمد مفتاح، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥، ص١٣١.

ومن مواجهة للنص التميمي، ومحاولة سبر أغواره، أمكن الكشف عن تجلي الموروث الديني الذي استحوذ على اهتمام الشاعر، فجعله الركيزة الأساسية في بناء نصه الإبداعي، وإحساسه بالخطر الجاثم على أكتاف أمته، فيدعو من خلاله إلى صحوة جماعية لمقاومة هذا الخطر المحدق بهم، مستنهضاً هممهم، وبين النص الحاضر والنص المرجعي المتمثل بالموروث الديني تتجلى للقارئ إمكانية التفاعل النصي بين جنسين مختلفين، وبما أنَّ عملية التفاعل النصي أمر متحقق في النص الحاضر "فلا مناص للباحث من الانكباب على إبراز مختلف مستويات التفاعل النصي وأشكاله، وهذا العمل علاوة على كونه يسمح لنا بالنظر إلى النص في ذاته، يتيح لنا إمكانية النظر إليه في مختلف علاقاته مع نصوص أخرى"(١)، آخذين بعين الاعتبار السياق الاجتماعي والثقافي الذي ظهر فيه. وهنا تبرز لنا الرؤية في نصّ البرغوثي بتوظيفه المرجعية الدينية؛ ليحمل بذلك رسالة إلى كلّ عربيّ يأبى الخضوع لقوّة العدوّ الغاشم، ويعتزّ بتراثه الأصيل الذي يتضمن انتصارات الأوّلين وأمجادهم الكبرى.

قصص الأنبياء

يزخر ديوان (في القدس) بدلالات دينية ترد قارئها إلى قصص الأنبياء، بوصفهم حملة رسالات الحق والخير للناس أجمعين، وتكشف هذه الدلالات عن مدى المعاناة التي تعرض لها هؤلاء الرسل في مواجهة قوى الظلم والبغي، غير أنَّ توظيف تلك القصص في صفحات الديوان لم يجرِ على نسق واحد، وإنما تعددت طرق تناول هذا الموروث القصصي، ليظهر النص متماسكاً لا تشتت فيه؛ وبتماسكه يساعد القارئ على اكتناه منظومة الموروث الديني الكامنة داخل النص الشعري ذاته، ومنها استناده إلى فكرة أنَّ الأنبياء بوصفهم علامة قداسة لا يمكن إنكارها.

(١) سعيد يقطين، **الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي**، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص٥٠.

أولاً: محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته

تتكاثف في ديوان تميم الإشارات والحوادث التي ارتبطت بشخصية محمد –عليه السلام– لما لهذه الشخصية من الأثر الكبير الذي تركته في نفوس المسلمين فيما بعد، وفي تأسيس قاعدة الدولة الإسلامية التي سار عليها المسلمون إلى يومنا هذا.

وأوّل ما يطالعنا في النصّ التميمي استحضار غزوة بدر التي شارك فيها الرسول الكريم ضدّ مشركي قريش، وانتصاره عليهم انتصاراً محققاً بقوّة الإيمان، وصدق العزيمة، فربط تلك الغزوة بمنطقة الجليل –شمالي فلسطين– التي شهدت بطولات، وأحداثاً بين شباب الانتفاضة والمحتل الغاصب:

"كأن الجليل هو الشعر في النثر محتجبٌ، كالخيول التي في السما
كالملائكة النازلين على هيئة الطير يوم القتال
وهو محتجبٌ مثل رعب العدوّ الحقيقيّ"(١)

أفاد الشاعر من تلك الغزوة بذكره المدد الإلهي الذي أرسله الله للمؤمنين، فالملائكة هبطت من السماء إلى الأرض؛ لتشارك في حرب الكفار، وهنا يتقاطع هذا الحدث المهم مع النصّ القرآني الذي أشار إلى العون الذي ما فتئ يلازم المؤمنين، فكان سبيلهم للفوز، وعاملاً مهما من عوامل النصر، قال تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ الأنفال:٩، واستدعاء الشاعر لمشاركة الملائكة في قصيدته تلك تأكيد منه على فكرة المقاومة التي تبنّاها أبناء فلسطين صغيرهم وكبيرهم، فكأنه فعل تحدّ للعدو الذي يحيط بهم ويجثم على أنفاسهم، فهم على قلّة عددهم موفقون في مسيرتهم المظفرة تلك، وما توظيف مشاركة الملائكة التي جسدها النصّ التميمي بصورة الطير في القتال إلا رسالة حبّ وسلام سيعمّ مداه في أرجاء البلاد، وإن طالت المدة، وبعدت المسافة.

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، دار الشروق، ط٢، مصر، ٢٠١٥م، ص١٨.

فجاء اختيار تميم لهذه الغزوة مقصوداً، وإن لم يفصّل ما جرى فيها من ملابسات ومناورات، إلّا أنَّ استدعاء هذه الغزوة دون غيرها من الغزوات يردنا إلى القيمة التاريخية العظيمة التي حظيت بها، فهي مع كونها أولى الغزوات التي فتحت باب الصراع الحربي بين المسلمين والكفار، "عزّزت مكانة النبيّ في المدينة، وأعلت كلمة الإسلام، فدخل في الإسلام بعدها كثير من المشركين... أما قريش فقد عزَّ عليهم أن يهزموا ويقتل سادتهم ويؤسر أشرافهم"(١).

وتتبلور في النصّ فكرة استمرار الصمود والتحدّي التي نهض بها أبناء الأرض متمثلة في عدم خوفهم من طائرات العدوّ ليقينهم التام بأنَّ الروح المعنوية العالية التي تصطخب بها نفوسهم هي المحرِّك الأساسي للنصر القادم.

وأما في قصيدته الموسومة بـ: "تقول الحمامة للعنكبوت"، فيستحضر الشاعر حدث الهجرة النبوية الشريفة من مكة إلى المدينة، متحدّثاً بلسان الحمامة والعنكبوت في إطار حواري قصصيّ، ومفجراً طاقاته الإيحائية حول واقع المسلمين الذي آلوا إليه، ومقارناً حالهم الراهن بحال المسلمين في التاريخ الإسلامي الذي امتلأ بأخبار بطولاتهم، وتحمّلهم العنت، والمشقة من أجل رسالة الإسلام، ورفع راية الحق مشرقة في الآفاق.

ينهض النصّ التميمي هذا على تقنية الحوار الذي ينطلق بلسان الحمامة، فتتصدّر الإخبار عن هذه الحادثة للعنكبوت التي ظلت منصتةً لحديثها، مُصغيةً لمضمون كلامها الذي أفرزته في رحم النصّ الشعري، وفيه تسأل الحمامة العنكبوت عن حال الشيْخين –الرسول الكريم وأبي بكر– وهل بقيا في ذاكرتها مع تقادم الزمن

(١) السيد عبدالعزيز سالم، **تاريخ الدولة العربية_تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٨٥.

وتوالي الأجيال، وتؤكد بذلك الحمامة أنها والعنكبوت قد حمتا الغريبين من بطش الكفار، وكأنها تفتح باب الأمل والتفاؤل في امتداد نصيّ يستغرق القصيدة بأكملها، حيث أفسحت المجال لنفسها كي تقصّ قصتها في الزمن الماضي:

"تقـول الحمامـــة للعنكبـــوت أخـــيّ تذكرتنـــي أم نســـيـت

عشـية ضاقـــت عليّ السـماء فقلت على الرحب في الغار بيتي

وفي الغـــار شيخان لا تعلميـن حميتهمـــا يومهـا أم حُميـــت

سنحمي الغريبيـن مـن كل سيف بريش الحَمـــام وأوهى البيـوت

سنبني المـآذن في المشـــرقين بخيـط رفيع وخبـز فتيـــت"[1]

ووصف الغريبين، الذي جاء ذكرهما في النصّ الشعريّ، فيه إلحاحٌ على معنى أثيل حاول الشاعر إسقاطه على وضع الأمة الراهن مؤكداً أنها ستبقى غريبة في بلادها ما لم تحاول بجهدها دفع الغاصب عن أرضها لتعود إليها حرية الرأي وتتذوق حلاوة النصر.

وتمضي الحمامة في حوارها هذا بنبرة تصاعدية من الهمة القوية، والإرادة الطموحة، لنيل المجد والرفعة، فتؤكد فكرة الصمود في الغار ليكون طريقاً للغريبين لإعلاء كلمة الحق في أرجاء العالم:

"لقد كان في الغار وعدٌ بأن السماء ستُنثر

مثل أرزّ العروس على العالمين

لقد كان في الغار دنيا من الصين حتى بلاد الفرنجة

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥٣.

أسواقها وميادينها وقوافلها وعساكرها وصياح المنادين"[١]

يتصدر المقطع الشعري السابق الفعل الماضي (كان) ليوحي بأن تلك الحادثة التي تعرّض لها سيدنا محمد –عليه السلام– مع صديقه أبي بكر بقيت في حافظة التاريخ حاملة في جعبتها أسمى معاني الإباء والقدرة على تحمّل المشاق، جاعلاً من هذه الهجرة بؤرة أمل تبعث ببصيص نورها في نافذة الحاضر؛ ليصل الشعب المناضل حاضره بماضيه، فتتبدى له نضارة الروح، ونقاء السريرة، وعزيمة العمل، فتبث في حناياه حميّة الإقدام باقتدائه بالسلف الصالح. وتمضي هذه البصمة المشرقة من حياة المسلمين في الماضي التليد لتصبّ تأثيرها الحيّ في فكر الشاعر وعاطفته، فنراه يعود إلى تأكيد تلك الفكرة ويجسّدها واقعاً حيّاً في كلماته التي نلمح من ورائها اعتزازاً بهذا الموروث الذي تجلت أصداؤه في شخص الرسول الكريم، فنجده في مقطع آخر من الديوان يخاطب الأمة الإسلامية موظفاً حدث الهجرة مرة أخرى، جاعلاً بؤرته النصية في غار ثور الذي كان نقطة استشراف حقيقية لنشر الإسلام بعد أن كان مستتراً:

"أرى أمّــة في الغار بعـد محمّــد تعــود إليه حين يفدحهــا الأمــرُ

ألم تخرجي منــه إلى المُلك آنفــاً كأنك أنتِ الدهر لو أنصف الدهر

دخلــتِ إليــه اثنيــن أوّل مــرة نبيّاً وصدّيقاً وشى بهما الوعر"[٢]

في هذه اللقطة النصية يرتبط الماضي بالحاضر عندما تتصدر دلالة الفعل المضارع (أرى) مساحة النصّ الشعري، فيلتحم الزمان بشقيه في علاقة تأثر وتأثير، تتذكر من خلاله الأمة الإسلامية الحاضرة ماضيها المشرّف، وكأنها بذلك تجعل من

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥٤

(٢) السابق، ص٥٩.

حدث الهجرة مقدّمة للتمكين والنصر الأكيد، وسبباً لضرورة الأخذ بالأسباب، ودافعاً قوياً للتضحية والتحرّك الجمعي في سبيل استعادة هذا المجد الزاهي. وقد تلامس هذا التوظيف النصيّ في دلالته بالنصّ القرآني الذي يظهر فيه خيط الأمل في ظل صعوبة الموقف، حيث يقول سبحانه: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ التوبة:٤٠، وبارتداد نصيّ إلى الديوان يُلمح جانب الاستدعاء الديني عندما جعل كلاً من الحمامة والعنكبوت من الجنود التي أيّد فيها الله الغريبين بعلامات النصر، وهذا يعود بنا إلى حقيقة مؤداها أنَّ الأمة إذا أعلنت جهادها بالنفس من أجل العقيدة فإنها تأخذ بأسباب النصر بدعم إلهيّ، وتأييد رباني.

وما تلبث أن تتغير تلك النبرة الصوتية التي أفصحت عنها الحمامة؛ ليمتزج بها الشك والحيرة عندما تسأل عن حال الغريبين وما حلّ بهما، فتنقل القارئ من الماضي إلى الحاضر الذي يعيشه جاعلة من ذلك السؤال المحيّر حلقة تصله بالواقع الأليم الذي يرزح تحته أبناء الأمة:

"يا أخيّة ضيفاك ما فعلا

أتُرى أسِرا أتُرى قُتلا

أتُرى بقيا صاحبين أم انفصلا

يا أخيّة ضيفاك ما فعلا"(١)

يُفتتح المشهد النصي هنا بهالة من الأساليب الإنشائية التي أفرزها حوار الحمامة للعنكبوت، لتترك دلالات شتى، ومعاني مبهمة، وعاطفة مضطربة، بمشاعر الشك

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥٥-٥٦.

والضيق، إلا أنها ترجو من خطابها وحدة العرب والمسلمين، وتأمل في إعادة شملهم لنصرة الدعوة الإسلامية التي ما برح أصحابها الأوائل محافظين عليها، متمسكين بعروتها. وهي رسالة خفيّة من الشاعر إلى الشعب عامة لاستنهاض هممهم وإعادة الأمل من جديد، جاعلاً من تكرار العبارة (يا أخية ضيفاك ما فعلا) إيذاناً بالسعي نحو قهر المحتل، ورفض الواقع، أو على الأقل محاولة تغييره.

ويعود النص التميمي في لقطته الأخيرة ليبث تداعي النبرة الصوتية في خطاب يسترجع حدث الهجرة وحوار الحمامة والعنكبوت، لتصل إلى حالة من اليأس شديدة، وفقدان من الأمل أكيد، عندما يمتد الصوت في إطار الحاضر المتهالك الذي ينخر فيه الضعف، وتفصح عن مأساوية الحياة التي تحياها أمة محمد، فيصل صوت الحمامة إلى الأمة مشوباً بتقرير مؤدّاه استحالة عودة الصفحة المشرقة الممزوجة بالعزة والفخار إذا بقي الوضع على ما هو عليه:

"فلن تحرس الغار الجديد حمامة ولا من خيوط العنكبوت له سترُ

أيا أمة في الغار تبغي حماية من الطير معذور إذا خانك الطير

وجبريل يأتي الغار كل عشية ويذهب والغافون في الغار لم يدروا

ويا من أمرتِ الناس بالصبر إنني أرى الصبر لا يفنى وقد فني العمر"(١)

يعرّي المشهد السابق الحقيقة التي آل إليها المسلمون اليوم، فالحمامة والعنكبوت اللتان كانتا مصدر حماية الغريبين في الغار أضحتا تستنكران الواقع الأليم ملقيتين باللائمة على الأمة نفسها التي تخاذلت وضعفت في دينها ورضيت بهذا الهوان، لذلك فهي لا تستحق منهما حماية، كما أن الغار الذي كان بالأمس موضع أمن وحراسة، أضحى اليوم مصدر ضيق وسجن أليم يغشي الأمة بأسره القاهر، وجبريل

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥٩.

الذي كان مصدر أمل ورجاء بغد مشرق، أضحى اليوم مفقوداً في حاضر الأمة، وكأنَّ خيط المدد الإلهيّ قد انصرم وانقطع، فلم تعد تلك العلاقة الحميمة التي يستمد منها الإنسان المعاصر مصدر قوته وثباته.

إنَّ حدث الهجرة النبوية الذي وظفه النصّ التميمي يتضمن بحد ذاته قيمة مهمة إذ إنها كانت "تلبية لوازع الإيمان وبحثاً عن أرض صالحة للعمل، والتماساً لأسباب العزة والكرامة، فهي أثر واضح من آثار الإيمان الصادق، وثمرة من ثمار الحرص على العقيدة"(١)، ولأجل ذلك كانت كل من الحمامة والعنكبوت وسيلتين منّ الله بهما على المسلمين لشدّ أزرهم وتثبيتهم في دينهم، ليعودوا إلى أرضهم التي سُلبت منهم، وفيهم نور الحق ورمز الشموخ، يعودون فاتحين حاملين رسالة الحق، وهي رسالة كذلك إلى أجيال المسلمين اللاحقة ليتلمسوا خطى سلفهم الصالح الذي أكره على مغادرة وطنه، ليعود من جديد ملتئماً شمله، متطهراً من العار الذي لحق به، وهي الرسالة التي دعا فيها تميم أمته للنهوض من جديد:

"يا أمتي ارتبكي قليلاً، إنه أمر طبيعي

وقومي

إنه أمر طبيعي"(٢)

وتلك هي ومضة الأمل التي يُشيعها الاقتباس السابق ليبعث النداء إلى الجماعة طاقات كامنة من الإصرار لم تنفد بعد؛ فالصحوة وإن كانت مرتبكة متخلخلة في صفوف الأمة إلا أنها فاتحة خير وبشرى ستجد طريقها التي أضاعته في المستقبل القريب.

---

(١) محمد ذياب أبو صالح، **الهجرة النبوية، دروس وعبر**، الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، فلسطين الخليل، ١٩٩٤م، ص٧٩

(٢) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٦١.

من جانب آخر، يستدعي تميم حادثة الإسراء والمعراج، وهي إحدى المعجزات التي منّ الله بها على سيدنا محمد، عليه السلام، وكان لها أكبر الأثر في ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين الذين ازدادوا اطمئناناً وثقة بحامل الرسالة والرسالة نفسها، فما ساورهم الشك في مشاهدات الرسول الكريم، ولم تدخل فيهم الحيرة في تأكيد وصول دعواتهم وأمانيهم لربّ العزة والجلال، وهذا عينه ما نراه مبثوثاً في صفحات الديوان، إذ استمدّ النصّ الشعري فكرة وصول الدعاء والاطمئنان بالإجابة باعثاً في نفوس المسلمين أملاً بازغاً نحو تحقيق المنى مع صمود الدعوة، وثبات الموقف:

"هنالك يمشي الدعاء
كمن يعرف الدرب، مشيا عزيزا
من الأرض حتى السماء
كأن المسافة بينهما مستطاعة"(١)

في هذا المشهد النصيّ تأكيد لفكرة بثّ الأمل بالخلاص، وتفنيد لأي صعوبة أو تحدّ من شأنها أن تدخل القلق في قلوب أبناء فلسطين خاصة، والأمة العربية عامة، فإذا كانت تلك الحادثة بما صاحبها من مشاهد ومعجزات استطاعت أن تقوّي من نزعة الإيمان، وتثبت نداء الإسلام في قلوب المسلمين، فإنّ أمل النصر والحرية مغروس في أبناء هذا الوطن، ودعاؤهم في كل صلاة وفي كل أوان لا يمكن أن ينقطع؛ لأن المسافة أصبحت سهلة، وممكنة، بين الأرض ممثلة بتلك الأيادي الفتية، والقلوب الصابرة، والسماء ممثلة بعدالة الإله، وسماعه الدعوة خالصة من أي زيف، عارية من كل ما يشوبها من ملذات الحياة المادية، وفتنة السلطة والبغي، وعليه، فإنّ أمل الاستجابة قريب وتحقيق المنشود مؤكّد.

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٤.

لم تكن رحلة الإسراء والمعراج جسداً وروحاً بقدر ما هي "رحلة لمكنون علم الله في قلب الرسول الأعظم –صلى الله عليه وسلم– عبر رحلة الاستخلاف في الأرض من لدن آدم حتى آخر رسول سبقه، ولتلتقي في مضمونها عين البصيرة في الأرض بعين الحقيقة في السماء"(١)، وهي كذلك تأصيل جذري لفكرة الوجود التي جسّدتها قصص الأنبياء والمرسلين، الأمر الذي جعل النص التميمي يستدعي هذه الفكرة في قصيدة "قبّلي ما بين عينينا اعتذاراً يا سماء"، مخاطباً السماء التي صعد إليها الرسول الكريم، باثّاً خطابه النصي في شخصية محمد –عليه السلام– ومن سبقه من الأنبياء الذين أمَّهُم في المسجد الأقصى، فكان معه موسى، وعيسى، وإبراهيم، وإسماعيل، فيؤلف في حضورهم كلهم رسالة موحّدة تجمع أصوات الرسل والأنبياء كافة، وفي طيّاتها بوح بعظم الأمر، وفداحة الخطب الذي تردّى إليه المسلمون اليوم:

"يا سماء

أبلغي في ليلة الإسراء من بالمسجد الأقصى يُصلي

من نبيّ أو إمام

اسمعوا يا من عليهم صلوات الله سرب من حمام

وأذان في الأعالي يتردّد

بينكم من كلّم الله جهارا

والذي لم يَصْلَ نارا

والذي عن أمره عمّرت الجنان دارا"(٢)

---

(١) عصام يوسف، **الإسراء والمعراج المعجزة الكبرى**، دار مشارق للنشر والتوزيع، ط١، طالبية فيصل، ٢٠٠٨م، ص٦٦.

(٢) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٠٤.

فيبدو هذا الصوت الخفيّ الذي استمد من حوادث الأنبياء مضمراً في كلمات النص الشعري، ليظهر الفرق الواضح بين همم هؤلاء الصالحين لنقاء سريرتهم وصمودهم إزاء أي مشكلة تواجههم بالمعجزة الربانية، وبين الصوت الآخر الذي يرفعه النص عالياً متحدثاً عن نفسه بضمير الأنا ليثبت على نفسه تهمة الخضوع، وضياع القيم، والتخلي عن المبادئ، وموت الضمائر:

"اسمعوا منا الكلام:

اعذرونا لو دخلنا في صفوف الخاشعين

بالتوابيت وبالأعلام فوضى!

نحن لسنا أولياء أو عباداً صالحين

غير أنا لم نجئكم مدّعين

كي ننال المجد في شركتكم هذا المقام"(١)

فيتقاطع هنا صوتان: صوت خفيّ استدعاه النص الشعري من قصة حادثة الإسراء والمعراج، وصوت ظاهر جليّ أُسقط على ألسنة الأمة التي تعاني واقعها اليوم، وما بين السماء والأرض يصطخب الصوتان، وتلتقي المتناقضات في صوت ماضويّ مشرق مقرّه السماء، وصوت واقعي مؤلم يقطنه سكان الأرض، فلا تظهر نتيجته إلا بكلمة اعتذار يختتمها النص الشعري للسماء الجليلة، وارتداد الصوت الثاني إلى فضائه الدنيويّ ورحلته الذاتية التي قدّر لأهل الأرض أن يحيوها في إطارهم الخاص، وحدودهم التي رُسمت لهم.

وفي موضع آخر من الديوان، يُكتفى بذكر لفظة الرسول الكريم، أو التصريح باسمه (محمد)؛ مستوحياً من مقومات شخصيته قوة وعزيمة يعوض بها الواقع

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٠٤-١٠٥.

المتردي الذي تعيشه الأمة، فقد استحضر تميم في قصيدته الموسومة بـ: "تخميس على قدر أهل العزم" رمزية اسم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فيقول:

"فيـا مُرْبِك الأيـام كهلاً ويافعـا ويـا غازلاً ضحك الوليد شـرائعا

محمـد أدركنا إذا كنـت سـامعا إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعا"(١)

وفي موضع آخر من القصيدة يُشار إلى الرسول الكريم ومعاناته في سبيل الدعوة:

"وإن أُمّر العبدُ استطال بفُجره وكان رسول الله يكوى بجمـره

ولكنه ما كلّ عن حرب دهـره وإن فجعته بابنه وابن صهره"(٢)

فالخطاب الموجه لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في المقتبس الأول فيه إلحاح أكيد من الشاعر على استنجاده بالرسول في عصر تكالبت فيه المحن على بيت المقدس، وتواترت الخطوب، والأسلوب التقريري الذي أفصح عنه المقتبس الثاني في حديثه عن الرسول الكريم يجسد دلالة واضحة على بث الحمية في نفوس الأبناء، حيث جعل من قصة الرسول واحتماله العنت دليلاً دامغاً على مواصلة الجهاد وعدم الخنوع للقوى الباغية، وفي كلتا الحالين، تبدو شخصية الرسول بوصفه نموذجاً دينياً مهماً في تاريخ الأمة الإسلامية حاملاً مقومات الشخصية الإنسانية المتكاملة التي ما فتئت تبث العزيمة والروح المعنوية العالية في نفوس كل من اقتدى بها، وسار على نهجها.

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١١٤.

(٢) السابق، ص١١٨.

ثانياً: عيسى عليه السلام الفداء والخلاص

تُعدّ شخصية عيسى –عليه السلام– من الشخصيات التي تكرر استدعاؤها في الديوان، فكان حضورها بارزاً في غير قصيدة من قصائده، فقد استلهم الشاعر منها معاني الفداء الخلاص والأمل المرتقب؛ لتكون له قاعدة أساسية يبني عليها رموزه ومقاصده في الواقع الذي يعيشه. وقد حظيت فكرة الصلب باهتمام واضح في ذهن الشاعر، ومعلوم أنَّ قصة صلب المسيح تفجّر عن طريق الشعر طاقات إيحائية من الصبر والصمود، ومقاومة الغزاة للمحافظة على دعوة الدين التي حملت في طياتها فكرة الخلاص للإنسانية جمعاء.

يستحضر نص الديوان في القصيدة الموسومة بـ: "الجليل" لفظة الصليب الذي يحمله الطفل الناصريّ؛ ليشير إلى تلك المعاناة التي ينهض بها الفتيان واستماتتهم في الدفاع عن أرضهم، يقول:

"وجليل هو الولد الناصريّ الذي يرتقي كلّ يوم صليباً

فيحمله، لا أحدد من منهما يحمل الآن صاحبه،

ويسير إلى القدس مستشهداً حافياً

ويحسبه الناس جغرافيا"(١)

يربط النص التميمي السابق بين حادثة انتفاضة الشعب الفلسطيني ورمزية الصليب الذي حمله السيد المسيح، ليشكل من تلك العلاقة وحدة لا تنفصل عراها حول مصداقية الانتفاضة، من حيث أهدافها ووسائلها المشروعة في مواجهتها للقوى المتسلطة التي ما فتئت تقتل الروح المعنوية لأبنائها الثوار، فكما أنّ المسيح الذي

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٧.

صُلب أمام مرأى العالم من أجل دعوة الدين الذي نادى بها أبناء أمته يشكل رمزاً مهماً لقدرة الإنسان على الدفاع عن أرضه، حتى لو لقي في سبيل ذلك صلبه، فإن ثوار الانتفاضة الذين حملوا أرواحهم بين أكفهم، يشكلون رمزاً قوياً للإصرار على تحرير الأرض والدفاع عنها بما أوتوا من أسلحة ووسائل، وهذا الربط الواضح بين حادثة الانتفاضة وحادثة الصلب تتسامى في مدلولاتها وإيحاءاتها المكثفة لتتجاوز المساحة الجغرافية لمدينة الجليل، وترتقي بمدى أوسع، وروح عالية تطاول عنان السماء.

وبدا تأثر الشاعر بالإنجيل واضحاً أيّما وضوح عندما استدعى حادثة الصلب، والاضطهاد الذي لقيه المسيح جرّاء ذلك، فيكرر تلك الحادثة في موضع آخر من الديوان، معتمداً على قصة الصلب مع تحوير في دلالاتها الأصلية:

"لم نكن ندعو لدين أو إمامة

أو كتاب يزعج الكهّان يوم السبت

لم نطرد من الهيكل تجّار الفضيلة

نحن كنا ليلة الصلب ندقّ الكفّ فوق الكفّ

ما زدنا على ذلك شيّا

نحن من صاح عليه الديك ألفاً

لم نقل للروم حرفاً

وبكينا في مسيح الله إلفاً

لا نبيّاً

غير أنا في بطون الأسد بتنا

لم نحد عن دينه حين امتُحنا

وعرفنا دقة المسمار في الكفين مثله

ثم لا نطلب أن يأتي إلينا ملك

يخرجنا من ظلمة القبر بهالات الضياء"[١]

تتكاثف في المقتبس السابق دلالات الموروث الديني التي استمدّها الشاعر من الإنجيل؛ إذ يشير إلى حادثة الدعوة التي نهض بها المسيح ضد حكم القيصر الروماني، فيجده القارئ يُثير القلق والفوضى في صفوف الكهنة الذين يتعبدون يوم السبت، ليلهيهم عن عباداتهم، كما أنه أشار إلى حادثة طرد التجار من الهيكل التي وردت في الإنجيل: "واقترب عيد الفصح عند اليهود، فصعد يسوع إلى أورشليم، ورأى في الهيكل باعة البقر والغنم والحَمام، والصّيارفة جالسين إلى مناضدهم، فجدل سوطاً من حبال وطردهم كلهم من الهيكل مع الغنم والبقر، وبعثر نقود الصيارفة وقلب مناضدهم، وقال لباعة الحَمام: ارفعوا هذا من هنا، ولا تجعلوا من بيت أبي بيتاً للتجارة"[٢]. وبهذا الفعل يكون المسيح قد أثار بلبلة الكهان والتجار بإزعاجهم وطردهم من الهيكل؛ ذلك لأنهم حوّلوا الهيكل إلى مكان تُباع فيه السلع، والأولى أن يكون مكان عبادة وتقديس.

ويمضي المقتبس السابق إلى استدعاء حادثة اتفاق الكهّان على المسيح، وخيانتهم له من قبل يهوذا الإسخريوطي الذي فاوض بدوره رؤساء الكهنة كي يسلّم

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، النشرة الرابعة، بيروت لبنان، ص١٢٩

المسيح لهم مقابل مبلغ من المال يُدفع له: "فدخل الشيطان في يهوذا الملقب بالإسخريوطي، وهو من التلاميذ الاثني عشر، فذهب وفاوض رؤساء الكهنة وقادة حرس الهيكل كيف يسلمه إليهم، ففرحوا واتفقوا أن يعطوه شيئاً من المال، فرضي وأخذ يترقب الفرصة ليسلمه إليهم بالخفية عن الشعب"(١).

ويدرك بعدها المسيح باقتراب أجله، وإحساسه بالخيانة التي قوبل بها من لدن أحد تلاميذه، فيخبر تلاميذه بأنهم سينكرونه، وسيتخلون عنه، فطمأنه أحد تلامذته –وهو بطرس– بأنه لن يتخلى عنه، فاستلهم حادثة صياح الديك الذي يؤكد من خلالها إنكار تلامذته له قبل أن يتمم الديك صياحه: "وبعد قليل جاء الحاضرون وقالوا لبطرس: لا شك أنك أنت أيضاً واحد منهم، فلهجتك تدلّ عليك، فأخذ يلعن ويحلف أنا لا أعرف هذا الرجل، فصاح الديك في الحال، فتذكر بطرس قول يسوع: قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات، فخرج وبكى بكاءً مراً"(٢).

وتتعاظم تلك الحوادث التي ساقها الإنجيل ليصور بعدها المقتبس حادثة صلب المسيح، وإحكام دقّ المسامير على كفيه، ليشهد صلبه جمع كبير من الناس يضم الكهنة والتلاميذ، وينهي المقتبس حادثة الصلب بالقيامة التي أعقبت ظهور المسيح من قبره، مستلهماً من الإنجيل تفاصيل الحادثة وجزئياتها ومشيراً إليها بلفظ قيامة المسيح: "وجئن عند فجر الأحد إلى القبر، وهنّ يحملن الطيب الذي هيّأنه، فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر، فدخلن، فما وجدن جسد الرب يسوع، وبينما هنّ في حيرة، ظهر لهنّ رجلان عليهما ثياب برّاقة... فقال لهنّ الرجلان: لماذا تطلبن الحيّ بين الأموات؟ ما هو هنا، بل قام"(٣).

---

(١) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، النشرة الرابعة، بيروت لبنان، ص١١٨-١١٩.

(٢) السابق، ص٤٧

(٣) السابق، ص١٢٣.

لقد استمدّ النصّ التميميّ حادثة الصلب التي تعرّض لها المسيح كما وردت في الإنجيل، وجعلها الإناء الذي يفرغ فيه رموزه في الحديث عن الشعب الفلسطيني، والقضية الفلسطينية، فوظف ضمير المتكلم الجمعي (نحن) للحديث عن الشعب الذي ما فتئ يعلن حقه، بل تمسكه بتلك الأرض وبراءته من أيّ ذنب ألحق به اعتماداً على قصة الصلب الإنجيلية، فالشعب الفلسطيني لم يطرد التجار من الهيكل كما فعل المسيح، وهو كذلك لم يناصب العدو العداء ومطالبتهم بحقهم في الأرض كما فعل المسيح عندما هاجم سلطة الروم القيصري وألّب عليه الناس، والشعب كذلك لم ينكر وجود العنصر اليهودي في أرض فلسطين قديماً كما أنكر بطرس المسيح قبل صياح الديك ثلاثاً، ومع كل ذلك يتعرّض الشعب الفلسطيني للتعذيب والصلب والقتل في جرائم لم يرتكبها، فكأنَّ حادثة الصلب التي ألحّ عليها النصّ التميمي هنا هي البؤرة النصية التي جعل منها الشاعر رمز المعاناة والاضطهاد الذي يتعرّض له الشعب الفلسطيني ومأساته التي يعيشها.

ويوظف النص التميميّ كذلك حادثة الصلب في القصيدة الموسومة بـ: "ابن مريم"، إذ صوّر تلك الحادثة بأسلوب خطابي موجّه إلى الأمة العربية التي رمز إليها بـ(مريم)، والمناضل الفلسطيني الذي رمز إليه بـ(المسيح)، وهذا الخطاب يحمل فكرة إقرار العنف الذي لحق بالإنسان الفلسطيني الذي يناضل من أجل الحرية، وفيه كذلك دعوة إلى الأمة العربية لتنهض من سباتها وتدرأ الظلم عن نفسها:

"لقد صلبوه فماذا بربك تنتظرين

لقد صلبوه وليس مسيحا ولا ابن إله

ولم يصلبوه لدعوى ودين

ويا أمّه لم يكن يبرئ الصمّ والبكم والعمي

وما رفّ من بين كفّيه طير

ولم يتحدّ المُرائين والكهنة

ولم يأته في لياليه روح أمين

فماذا بربّك تنتظرين"[1]

يستلهم الشاعر حادثة الصلب ليسقطها على واقع الشعب الفلسطيني، دالّاً بضمير الغائب على ذلك المناضل الذي شُرّد عن بلاده دونما جرم ارتكبه، فكانت أحداث الموروث الديني التي نهلها من الإنجيل والقرآن معيناً له ليعمق مأساة الإنسان الفلسطيني بسلبه أبسط حقوقه، محوّراً الكثير من تلك الدلالات وفق ما تقتضيه طبيعة الموقف، وتفصيل ذلك في ما يأتي:

– الإنسان الفلسطيني وتعذيبه واضطهاده دون دعوة منه، في مقابل المسيح وتعذيبه واضطهاده بدعوة منه ورسالة جاء بها، في استدعاء إنجيليّ لحادثة الصّلب.

– الإنسان الفلسطيني لم يحمل المعجزات والآيات العظيمة، في مقابل المسيح الذي حمل المعجزات الإلهية ليثبت صدق نبوّته، وهو استدعاء قرآني من قوله تعالى: ﴿**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ آل عمران: ٤٩.

– الإنسان الفلسطيني لم يتحدّ أحداً، في مقابل المسيح الذي تحدّى سلطة الرومان ورؤساء الكهنة، وهو استدعاء من الإنجيل.

وبدهيّ، أنَّ ربط خطاب المسيح النصيّ بأمه مريم من خلال العنوان الذي كشف

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٩٣.

عن رمزية هذه العلاقة يوحي بعمق الدلالة وارتباط الدم والروح بين الإنسان الفلسطيني وأمته العربية التي نشأ منها، فكان هذا التوظيف الرمزي بمثابة شكل فنيّ أسّس فيه النصّ التميمي معناه الرمزيّ الذي يظل مستتراً في رحم النص الشعري على مستوى البناء العميق، ثم توزع مفرداته في المستوى السطحي من خلال العبارات والتراكيب الموحية، وبين اللفظ والمعنى ينشأ التأويل الذي يستفزّ القارئ استفزازاً داعياً أن "تنشط فيه ملكة القراءة والفهم والتأويل، وبذلك يطول أمد التلقي، فلا يتمّ استهلاك النصّ بسرعة، فطاقته التأويلية وقدرته على تخصيب المعاني... هي التي تشجع القارئ على المضيّ على دروب الكشف ومعاناة الفهم"(١).

فتأسيس المعنى الذي يريده المبدع من نصّه لا يظهر في حقيقة دلالته إلا بعمق الرؤية وإعمال الذهن لتقديمه مجرّداً من أي تحوير من شأنه أن يزيد من كمون المعنى خلف شريط الحوادث والإشارات التي يستدعيها من هذا الموروث.

ويوظف النصّ التميمي فكرة الخلاص والانتظار التي يأتي بها المسيح من الموروث الإنجيلي، فيلحّ على تلك الفكرة في القصيدة الموسومة بـ: "يا هيبة العرش الخليّ من الملوك"، حيث إنّ الخلاص سيكون بعد انتظار طويل تتبدى فيها قوى الشر والجبروت، وتطغى على الضعفاء، فيأتي الخلاص ومضة أمل يستقيها الشاعر من عودة المسيح ليحارب قوى الظلم وأهل السيادة والحكم:

"يا أيّها الأمل الحقيقيّ الذي

تركوك مصلوباً بقارعة الطريق

ومرّ عنك الناس لم يتأمّلوك

(١) الهادي العيادي، **الكتاب المقدس في المنجز الشعري العربي الحديث**، دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٧م، ص٣١.

يا أيها الطفل الذي من بيت لحم

لا تظنّ بأنهم يبغون عودتك الجليلة ها هنا

والله لو علموا بأنك قادم حقّا

لخاضوا ألف حرب مُرّة

ليؤجّلوك

حتى إذا ما جئت تسألهم

عن العرش الذي قد كان عرشك

بعدما جلسوا عليه يا كريم الوجه فاعلم

أن جُلّ القوم لن يتحمّلوك"(١)

وظف البرغوثي فكرة الخلاص التي نادى بها المسيح، ووعد شعبه بالانتقام من قوى الشر والظلم ليحرّره من أسر الغاشم، والإلحاح هنا على سلطة الملوك التي دلل عليها بكلمة العرش ليشير إلى عنصر القوة والحكام الذين يستولون على خيرات الشعب وآماله، فاستدعى هذه الرسالة من الإنجيل الذي أكَّد من خلاله الشاعر فكرته تلك: "وختاماً أقول تقوّوا في الربّ، وفي قدرته العظيمة، تسلحوا بسلاح الله الكامل لتقدروا أن تقاوموا مكايد إبليس، فنحن لا نحارب أعداء من لحم ودم، بل أصحاب الرئاسة والسلطان والسيادة على هذا العالم، عالم الظلام والأرواح الشريرة في الأجواء السماوية"(٢).

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٣٥.

(٢) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، ص٢٦٤

وبتلك القوة التي جاء بها المسيح مُخلصاً البشرية من عذاب القهر، وجور الطغاة، تنهض مقاومة أخرى من قوى الشر التي تقطن الأرض فتخوض الحرب تلو الحرب لتمنع المسيح من عودته، وتناهض ثورته بكل ما أوتيت من قوة وجبروت.

ورمزية الخلاص التي أشار إليها النص تحمل دلالات السلطة التي يطمح أن يحدد الشاعر معالمها في واقعه الراهن الذي يعيشه وتعيشه أمته، سلطة تحمل معها مقوّمات العدل لتنعم ربوع الأرض بالخير والمحبة والسلام، ولذا جعل العنوان يتضمن دلالة السلطة الفارغة من الملوك ذوي الهيبة والسلطان، والمنوطة بهم الآمال ليخلصوا الأمة العربية من ليل الظلم الذي يحيط بها، فالأمة الآن في مرحلة انتظار لمن يستحق أن يحمل رسالتها خير قيام، ويخلصها من سيطرة المحتل الصهيوني.

ثالثاً: آدم عليه السلام ومحاكمة إبليس

ويوظف تميم البرغوثي من قصة سيدنا آدم ما يتناسب مع فكره السياسي الرافض للواقع الراهن؛ فيتخذ منها خلفية (Back ground) لنصه الشعري "أنا لي سماء كالسماء" بغية تحقيق رؤيته التي يدعو من خلالها إلى إعادة ترتيب الأحداث الحاضرة، يقول:

"فما تاريخنا إلا مرافعة أمام الله

والشيطان ليس كما توقعناه في قفص الإدانة واقفاً، لكن ممثل الادّعاء

ويحضِر الناس الأدلة، والشهود ليثبتوا منها جدارة آدم بالسجدة الأولى،

تراهم يعرضون حوادث التاريخ مثل التاجر الشامي

يعرض ما لديه من حرير لم يفصله بكل حماسة"[١]

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٢٣

يحوّر تميم الصورة المتعارف عليها عن إبليس وآدم؛ ذلك أن ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ البقرة: ٣٤، وما جاء في قصص الأنبياء يؤكد أن "إبليس كان من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله إليه جنداً من الملائكة فقتلوهم، وأجلوهم إلى جزائر البحار، وكان إبليس ممن أُسِر فأخذوه معهم إلى السماء فكان هناك، فلما أُمِرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه"(١)، لكن النص التميمي هنا يفاجئ القارئ بتحويره أحداث القصة الحقيقية، فيُظهر إبليساً خارج قفص الاتهام الذي أشارت إليه قصة آدم في عبارة "ممن أُسِر"، بل ويركز على أنه هنا قد ظهر ممثلاً للادعاء، وصاحب حق مشروع لشيء لم يكن من حقه أصلاً، وهذا يعني أنَّ إبليسَ في أرض الواقع الراهن ليس إلا معادلاً رمزياً لصورة العدو المحتل الذي يحاول أن يدعي أمام تلك المرافعة بجدارته، واستحقاقه لملكية هذا الوطن السليب، وهذه الصورة المحوّرة للخلفية الدينية التي استند عليها البرغوثي قدمت بنية نصية منتجة دلالياً معتمدة على الواقع الذي يعيشه الشاعر، وتتجلى هذه الخلفية النصية على شكل "بنيات نصية يستوعبها النص، ويوظفها في سعيه إلى إنتاج الدلالة. إنها تبرز لتعزيز ما يرمي إليه الكاتب إمّا عن طريق معارضته إياها، أو نقده لها، أو استلهامها"(٢)، وهذا التفاعل النصي مع النص المرجعي أبرز فكرة جديدة في دلالة النص الجديد، فكأنّ المرافعة هنا بين الشعب الفلسطيني المتهم الذي أخذ الأرض في حين إنها له أصلاً، وبين العدو الذي يؤكد استحقاقه لأرض ليست له؛ فيأتي كسر التوقع ليفاجئ المتلقي بغير ما هو معروف لديه.

---

(١) الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **قصص الأنبياء**، تحقيق: علي عبدالحميد أبو الخير ومحمد وهبي سليمان ومعروف مصطفى زريق، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، دمشق، ١٩٩٨م، ص١٩

(٢) سعيد يقطين، **انفتاح النص الروائي (النص-السياق)**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٩، ص٣٣.

وفي مقطع آخر من القصيدة ذاتها، يعود تميم البرغوثي لتكرار لفظة آدم ليقرر من خلالها حقوق الشعب الفلسطيني بأرضه كحقوق آدم بالتكريم، ذلك أن التكرار هنا يساعد في ترسيخ الفكرة التي تحلق في فضاء الشاعر الفكري، وتسهم بإظهار رؤيته تجاه فكرة التكريم لبني البشر وتفضيلهم على إبليس، فالتكرارُ، بوصفه عاملاً فاعلاً في القصيدة، يؤدي إلى خلق ترابط بين الأبيات الشعرية:

"فأعيد تركيب البرية وفق رغباتي وإيماني

وأصبح آدم الثاني

أسمي كل غزو علة كالبرد

يأتي برؤها منها"(١)

وهنا تتكرر لفظة آدم لتؤدي دوراً فاعلاً في تماسك القصيدة، وبث روح التفاؤل فيها، وليبث تميم من خلالها فكرة إلحاحه على إصلاح الواقع، ورد الحق لصاحبه الحقيقي، وكأنه هنا يستلهم من فكرة آدم وجدارته بالسجدة الأولى –تكريماً له– فكرة رد الحقوق لأصحابها، مسقطاً ذلك على الواقع ليثبت حقوق الشعب الفلسطيني بأرضه منذ الأزل، بوصفه صاحب هذا الوطن الحقيقي.

وأما في المرة الثالثة، فإن تكرار لفظة آدم في القصيدة، تبث نبرة يقين عن الواقع وما فيه، يقول:

"فإن الحاكمين لهم يدان فقط، وأكثر ظلمهم، ظلم من المحكوم للمحكوم

بل إني أقول بأنه من عهد آدم لم يكن بين البرايا حاكم أبداً"(٢).

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٢٤

(٢) السابق، ص٢٤.

يتجلى فكر الشاعر في الشاهد السابق بوضوح؛ مؤكداً بكل ثقة استحقاقية الشعب الفلسطيني لأرضه المغتصبة، مؤكداً أنها له منذ بدء الخليقة، وأن هذا الحق للشعب الفلسطيني لا يمكن إنكاره على مر العصور، حتى لو تكالبت عليه ظروف الظلم والقهر من قبل الحكام الذين وقفوا كالتماثيل التي لا روح فيها ولا عزيمة إزاء قضية نابضة بالحياة، تنتظر من أبنائها أن تخلصها من أسرها وقهرها المكبوت. فيضعنا البرغوثي أمام لوحة شعرية نابضة بالتفاؤل، وإصرار عجيب على التشبث بالحق الذي مهما طال به الأمد لا بد من عودته لأصحابه الأصليين. فيأتي توظيف الشاعر لآدم هنا بغية التركيز على فكرة النشأة الأولى التي بدأت به، إذ يوازيها في الواقع حق الشعب الفلسطيني بأرضه منذ الأزل، ملحّاً على تجذرهم في المكان رغم اغتصابه منهم، فكما عُرفت بداية الخلق بوجود سيدنا آدم، كذلك الأمر بوجود أرض فلسطين الذي اقترن لا محالة بوجود الشعب الفلسطيني، وصراع آدم مع إبليس ليس إلا تجسيداً للصراع بين الشعب الفلسطيني والعدو الغاصب لأرضه.

رابعاً: نوح عليه السلام وحادثة الطوفان

ويرصد الشاعر البرغوثي في قصيدته الموسومة بـ: "لا شيء جذرياً" بعضاً من ملامح قصة سيدنا نوح معتمداً في ذلك على تقنية التحوير في الأحداث؛ بغية إسقاط بعضٍ من ملامحها على الواقع الفلسطيني ومعاناته مع العدو الإسرائيلي، حيث يقول:

"لا شيء جذريّاً
يواصل الحمام كذبه على أسطول نوح
ويواصل الغراب تحذيره
وتواصل السفن رحلتها من محيط لمحيط
أصبح الطوفان روتينيّاً
كالمذهب في الموشح
وكذلك النجاة"[1]

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٥١.

تعتمد قصة سيدنا نوح على فكرة النجاة ارتكازاً على بعض العناصر المساعدة؛ من مثل الغراب والحمام، لكن تميماً هنا حوّر في النص الشعري وجعل للحمام والغراب موقفاً مغايراً عمّا كان عليه في قصة النبي وأحداثها الحقيقية؛ فالقصة تروي أنه قد "حدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة السفينة التي كان قد صنعها وأرسل الغراب، فخرج متردّداً حتى جفت المياه، ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها فرجعت إليه في الفلك لأن مياه الطوفان كانت على وجه الأرض كلها، فمدَّ يده وأخذها، وأدخلها إلى الفلك، فلبث أيضاً سبعة أيام أخر، وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت إليه الحمامة عند المساء، وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها، فعلم نوح أنَّ المياه قد غاضت عن الأرض، فلبث أيضاً سبعة أيام أخر، وأرسل الحمامة، فلم ترجع إليه أيضاً"(١)

لكن النص الشعري يبيّن كذب الحمام على نوح؛ فلا سلام في المكان، والحقائق مزوّرة لا صدق فيها. فقد جعل الحمام هنا ممثلاً للعدو الإسرائيلي الذي يواصل هو الآخر ادعاءاته الكاذبة في تحقيق السلام والأمان الوهميّيْن، بينما يجيء الغراب عاملاً سياسيّاً آخر محذراً من مساوئ حقيقة السلام المزعومة. فيتخذ النص الشعري هنا موقفاً مخالفاً تماماً لما عهدته القصة الحقيقية لسيدنا نوح عليه السلام، وهذا التوليف بين الموروث الديني والنص الجديد تتمخض عنه مقاصد جديدة لم يكن لها أن تتشكل إلا باتكائها على الموروث الديني؛ ذلك أنَّ التفاعل بين النصوص السابقة في النص الجديد يعني "ممارسات دلالية متماسكة تتجاور وتتصارع فيه لتكون في نهاية المطاف ممارسة دالّة جديدة تنطوي على معانٍ ودلالات ما كان لها أن تنطوي عليها لولا تلك النصوص السابقة"(٢). وهذا التغلغل الفكري في حاضر النص الشعري

(١) **الكتاب المقدس كتاب العهد القديم والعهد الجديد**، جمعية التوراة الأمريكية- جمعية التوراة البريطانية والأجنبية، القاهرة، ١٩٣٨م، ص١٣.

(٢) عبد النبي اصطيف، "**خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث مدخل تناصي**"، **فصول**، مج١٥، ع٢، ١٩٩٦م، ص١٩٢.

أعان الشاعر على إثبات فكرة انعدام السلام مع العدو، والإلحاح على فكرة إنكار السلام المزيف مستفيداً من قصة الحمامة والغراب.

وفي نص شعري آخر، يعود الشاعر ثانية –بنبرة التفاؤل– مجددّاً عهده في أبيات ديوانه إذ يقول في قصيدته الموسومة بـ: "أسطول نوح":

"حمام البروج يصلي عليك
تعلمه الجود يا ابن النبي
تناوله بيمينك قمحاً رطيباً
فيأخذه ويطير جنوباً
ولا يأكل الحَب
بل هو ينثره في الجبال"(١)

في المشهد الشعري السابق يُسقَط تميم المعنى الحقيقي للقصة المتعلقة بسيّدنا نوح عليه السلام، ولا يحوّر في خصائصها بل يجعل لها كياناً شعريّاً متكاملاً؛ فالحمام هنا تضمن معنى إيجابيًّاً، ووسيلة للعون كما هو في القصة الحقيقية؛ فقد ألبسه الشاعر الرمز الحقيقي لمعاني السلام والأمان والمساعدة، فجاءت الدلالة هنا إيجابية تخلو من أي تحوير فيها، بل وتتضمن تفاؤلاً غير منقطع النظير، وكأنَّ الرسالة التي أداها نوح مع قومه، باشتمالها على خلاصهم من العذاب والهلاك، ومنحهم الأمن والطمأنينة، وثقتهم به التي أوصلتهم لبر الأمان، قد أسقطها الشاعر على الواقع العربي فخصَّ بها السيد حسن نصر الله(٢)، الذي اعتبره تميم رمز ثقة وقوة آمن به الناس، ووثقوا، بوصفه طوق نجاة، ومخلصاً لهم مما هم عليه من واقع مرير أيضاً، فنقل الشاعر خلجاته الشعورية إلى متلقيه، من خلال المعنى الإيجابي الذي تضمنته قصة

(١) عبد النبي اصطيف، **"خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث مدخل تناصي"، فصول**، مج١٥، ع٢، ١٩٩٦م، ص٨٣.

(٢) ينظر السابق، ص٨٣، حيث أردف تميم عنوان القصيدة بإهداء إلى السيد حسن نصر الله.

سيدنا نوح عليه السلام، محاولاً إبراز الدلالة الإيجابية التي تضمَّنتها القصة الحقيقية.

وفي موضع آخر من القصيدة يؤكد الشاعر فكرة الخلاص بربطها بقصة الطوفان التي تضمنتها أحداث قصة سيدنا نوح عليه السلام مشيراً لها في قوله:

"تصلي عليك البحار إذا التأمت بعد سفر الخروج
فقد مرّ جمع الغزاة إلى التيه
والله يجمع شمل المياه
يعانق كل غريب من الموج أسرته
وأكاليل من زبد البحر طارت
تسبح من جمَّع الغرباء لديك
مياه البحار تصلي عليك"(١)

يتخذ الشاعر من قصة سيدنا نوح عليه السلام بعضاً من ملامح شخصيته الداعية للأمن والسلام ويحاول من خلالها تأكيد فكرة الخلاص بعد العذاب، ممثلاً ذلك بالطوفان الذي سبق الاستقرار والأمان، فكما حقق نوح الأمن والخلاص والسلام واستطاع لمّ شمل كل من اتبعه، كذلك هو حسن نصر الله في نظر تميم البرغوثي، فيظهر هنا كيف استعان بالموروث الديني المتمثل بالأنبياء ليسقطه على الحاضر الراهن المعيش ويلصقه بشخصية حاضرة تتمثل في فكره أولاً، وشعره ثانياً، مغلفاً ذلك بشيء من التفاؤل، فبعد الطوفان جاء الخلاص، وكذلك الأمر في مواجهة العدو التي مهما طالت سيكون النصر آخر مطافها.

وهكذا، فإن الشاعر استطاع أن يراوح بين فكرتي التحوير وتقديم الفكرة كما هي للنص ذاته، بغية دمج القارئ في ذلك النص الذي استلهمه مبدعه من واقعه، مدغماً إياه بشحنات شعورية ما انفكت تتوارى بين نبراته الشعرية.

---

(١) عبد النبي اصطيف، "**خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث مدخل تناصي**"، **فصول**، مج١٥، ع٢، ١٩٩٦م، ص٨٤-٨٥.

خامساً: إسماعيل عليه السلام بين المعاناة والنجاة

ويوظف الشاعر قصّة سيدنا إسماعيل كاملة ويسردها على متلقيه بمعانٍ مكثفة ومختزلة، من خلال قصيدته الموسومة بـ: "نثر موزون، وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمة العربية". وكعادة الشاعر المعاصر الذي يستقطب المعنى المجرد ليقابله بالمعنى الذهني، محاولاً المواءمة بين الفكر المجرد والثقافة الراهنة التي يعيشها، فقد جاء التوظيف "أبلغ في التشخيص لأنه يعمّق مدارك الصورة عن طريق نقلها إلى نفسية المتلقي، إذ يدركها بفعالية عميقة"(١)، وهذا يعني أنَّ مستوى الإدراك أصبح مشتركاً بين المتلقي والمبدع في النص الشعري الذي يتيح توسعة الأفق الإدراكية للمتلقي نفسه، وإسقاطها على النص ذاته.

وفي سبيل تجسير الفجوة بين النص الشعري والمتلقي، يطرح الشاعر فكرته مستنداً على الموروث الديني، إذ يقول:

"يا كساء النبي ارتفع راية عالية
لبني الجارية
فلا ماء يخرج من تحت أقدامهم
لا ولا وفد يأتي إليهم
وإن أخذوا ليضحى بهم
لا فداء لهم يتنزل من جنة ما
ولا بيت تعلو قواعده فوقهم
فيجيء الحجيج إليهم بفاكهة الأربع النائية
يا كساء النبي ارتفع راية عالية

(١) عبدالقادر فيدوح، **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي دراسة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٩٢م، ص٣٢٥.

لبني الجارية"[١]

يقدّم الشاعر لقصيدته تلك بنص نثريّ يبيّن فيه دلالة توظيف كساء النبي التي جعلها متقاربة مع فكره الشخصي، مازجاً بين الأحداث التاريخية التي طابقت في دلالاتها مستجدات العصر الحاضر. يقول في معرض حديثه عن الكساء وعن الفئة التي أُدخِلت في إطاره من منظور الشاعر: "أقول بأني سأدخل فيه الذين أبوا أن يذلوا لغازٍ أتاهم، وأُخرِج منه الذين على العكس منهم أباحوا لحاهم، فمن ردَّ كيد اليهود عن المسلمين بلبنان عندي سيدخل تحت الكساء، ومن ردَّ كيد التحالف عن شارع في العراق سيدخل تحت الكساء"[٢]، فكأن الشاعر يلحُّ على فكرة التحالف بين الأمة العربية من غير تدخل عناصر أجنبية خارجة عن إطاره، وهي الرؤية المثالية التي تبلورت في ذهنه، وسعى جاهداً إلى تحقيقها على أرض الواقع.

ويفاجأ القارئ –باستقراء الديوان– بمدى المفارقة بين الرؤية المثالية التي تشكلت في ذهن الشاعر والحقيقة المؤلمة التي يرزح تحتها العرب؛ إذ اتكأ تميم في نصه السابق على الفكر الإنجيلي في مَعرِض حديثه عن الجارية وبنيها؛ ليؤكد من خلالها سخريته المريرة من الواقع العربي، وكأنه هنا يؤصل حقيقة العرب التي جاءت مبثوثة في ثنايا صفحات الإنجيل إذ جاء فيه: "كان لإبراهيم إبنان، أحدهما من الجارية والآخر من الحرة... وفي ذلك رمز، لأن هاتين المرأتين تمثلان العهدين، فإحداهما هاجر من جبل سيناء تلد للعبودية... أما أورشليم السماوية فحرة وهي أمنا"[٣]. وهذا يعني أنَّ تأكيد فكرة الطبقية ووجود السيد والعبد موجودة منذ القدم عند اليهود والنصارى وحدهم، وهي ذاتها الفكرة التي استحضرها تميم في نصه السابق ليعلن مدى التردي الذي أصاب العرب وجعلهم مستسلمين لواقعهم المقيت، دون أدنى محاولة منهم لتغييره.

---

(١) تميم البرغوثي، **في القدس**، ص٤٣.

(٢) السابق، ص٣٨.

(٣) **الكتاب المقدس العهد الجديد**، ص٢٥٦.

يستند الشاعر في قصيدته على الموروث الديني، فتجيء الأحداث مختزلة من خلال سرده لما مر به النبي إسماعيل عليه السلام، وكأنه هنا يسخر من واقعه الذي لم يحمل من عراقته وتاريخه إلا الاسم، بل إنه يشفق عليه؛ لأنه لم يعد يحمل من ذلك الإرث الديني إلا بعض ملامح منه، فيحاول متوسلاً بفكرة كساء النبي الكريم، أن يخلع على الواقع بعض صفات القداسة التي تتلخص بفكرة الخلاص، فهو يتمنى تغيير الحال، فالحاضر الراهن لم يعد ينتظر عصر المعجزات تلك، ولم يعد يرجو إلا رحمة واسعة من رب العباد ممثلة بكساء النبي الكريم الذي يرفع عنهم الألم ويبث في نفوسهم الراحة والطمأنينة، فيسلط الشاعر الضوء على الأحداث التي مر بها سيدنا إسماعيل؛ من تفجير لماء زمزم الذي يرمز به للمساندة، والمواساة، وتقديم العون لأهل المقاومة، إلى حادثة الكبش التي يرمز بها للفداء والتضحية، وتمثلت بجعل أهل المقاومة كبشاً للمستعمر، إلى بناء الكعبة الذي يعني الواقع العربي الذي يتجلى في التقاعس، والانفضاض من حول المقاومة، تاركاً إياها تواجه مصيرها منفردة، وانتهاءً بالحج ووجود الحجيج ممثلاً بتقديم المعاونة التي باتت مفقودة أيام المقاومة أيضاً، فيبين من خلالها أن واقعه لم يتغير، ولم تتحقق المعجزات التي تنزلت على الرسل منذ القدم، فلن تحدث من أجل الأمة المتفرقة أي معجزة كما هي الحال في عصر النبوءات، فيقدم البرغوثي نصه الشعري ممزوجاً بالتحسر والسخرية على واقعه الحاضر.

الخاتمة:

وبعد هذه الجولة في ديوان تميم البرغوثي، يمكن الإشارة إلى النتائج الآتية:

- يظهر لقارئ الديوان سعة اطلاع الشاعر البرغوثي على الموروث الديني، الذي استلهم منه قصص الأنبياء عليهم السلام، وتضمينه لها في قصائده الشعرية وجعلها متكأً لسبر أغوار فكره، وقضية شعبه الماثلة بالقضية الفلسطينية خاصة، والأمة العربية الإسلامية عامة.
- راوح تميم في استدعائه لشخصيات الأنبياء بين التقيد بالنص تارة، والتحوير تارة أخرى، جاعلاً منه في الحالين رمزاً دالّاً على قضية أراد إقناع القارئ بها، ونبراساً يضيء فكر المتلقي خلال تطوافه بالديوان.
- نوّع تميم في الأساليب الفنية التي ساق من خلالها قصص الأنبياء، فكان منها: الأسلوب الحواري الذي شهده القارئ في حوار الحمامة والعنكبوت، وبدهي أن هذا النوع من الأساليب يسهم في استعادة الحدث الذي استدعاه كحدث الهجرة النبوية وتشبيهه بالأحداث التي واكبت القضية الفلسطينية، والأسلوب السردي القصصي، وهو أسلوب أظهر فيه جزئيات القصة الدينية ليدمج الأحداث بالوصف الدقيق للواقع الراهن الذي يعيشه الشعب الفلسطيني.
- جاءت ألفاظ الشاعر البرغوثي متأثرة تأثراً واضحاً بالكتب السماوية الثلاث: القرآن الكريم، والإنجيل، والتوراة، مع تفاوت في هذا التأثر بحسب الرؤية التي أراد الشاعر توضيحها في نصوصه الشعرية فكان للقرآن الكريم والإنجيل (العهد الجديد) نصيب الأسد في هذا التأثر، بينما اقتصر الاستدعاء من التوراة (العهد القديم) على قصة سيدنا نوح عليه السلام.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- اصطيف، عبد النبي، "**خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث مدخل تناصي**"، **فصول**، مج١٥، ع٢، ١٩٩٦م.
- البرغوثي، تميم، **في القدس**، دار الشروق، ط٢، مصر، ٢٠١٥.
- الجيار، مدحت، **الشاعر والتراث دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث**، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، مصر–الإسكندرية.
- زايد، علي عشري، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط١، طرابلس، ١٩٧٨.
- سالم، السيد عبدالعزيز، **تاريخ الدولة العربية_تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
- أبو صالح، محمد ذياب، **الهجرة النبوية، دروس وعبر**، الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، فلسطين–الخليل، ١٩٩٤م.
- علي، أحمد يوسف، **التراث ونقد الشعر**، دار النديم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨م.
- العيادي، الهادي، **الكتاب المقدس في المنجز الشعري العربي الحديث**، دار سحر للنشر، تونس، ٢٠٠٧م.
- فيدوح، عبدالقادر، **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي دراسة**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٩٢م.

- الكبيسي، طراد **التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث**، منشورات دار الثقافة والفنون، ط١، بغداد، ١٩٧٨.
- **الكتاب المقدس العهد الجديد**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، النشرة الرابعة، بيروت لبنان.
- **الكتاب المقدس كتاب العهد القديم والعهد الجديد**، جمعية التوراة الأمريكية – جمعية التوراة البريطانية والأجنبية، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، **قصص الأنبياء**، تحقيق: علي عبدالحميد أبو الخير ومحمد وهبي سليمان ومعروف مصطفى زريق، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، دمشق، ١٩٩٨م.
- مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، المركز الثقافي العربي، ط٤، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥.
- يقطين، سعيد، **انفتاح النص الروائي (النص– السياق)**، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٩.
- يقطين، سعيد، **الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي**، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩٧.
- يوسف، عصام، **الإسراء والمعراج المعجزة الكبرى**، دار مشارق للنشر والتوزيع، ط١، طالبية فيصل، مصر، ٢٠٠٨م.

References:

- Holy Qura'an
- Isteef, Abdul Al-Nabi, "Heritage Thread in the Fabric of Modern Arabic Poetry", Fosool, Vol.15, issue2, 1996.
- Al-Barghouthi, Tameem, In Jerusalem, Dar Al-Shourouq, 2nd ed, Egypt, 2015.
- Al-Jayyar, Medhat, The poet and the heritage study in the relationship of the Arab poet with the heritage, Dar Al-Wafa'a, 1st edition, Egypt-Alexandria.
- Zayed, Ali Ashri, Calling heritage Characteristics in contemporary Arabic poetry, Al-Shareka Al-Amah, 1st edition, Tripoli, 1978.
- Salem, AL-Sayed Abdul Al-Azeez, History of the Arab State - History of the Arabs since the era before Islam until the fall of the Umayyad State, Dar Al-Nahda, Beirut, 1986.
- Abu Saleh, Mohammad Theyab, The Prophetic Migration, Lessons and tuition, Al-Etesam for publishing, 1st edition, Palestine-Hebron, 1994.
- Ali, Ahmad Yousef, Heritage and Poetry Criticism, Dar Al-Nadeem for publishing, 1st edition, 1988.
- Al-Eyadi, Al-Hadi, The Bible in Modern Arabic Poetry, Dar Sahar for publishing, Tunisia, 2007.
- Feedouh, Abdel Qader, The Psychological Trend in Criticizing Arabic Poetry

Study, Publications of the Arab Writers Union, 1st edition, Damascus, 1992.

- Al-Kabesi, Tarad, The Arab Heritage as a Source in the Theory of Knowledge and Creativity in Modern Arabic Poetry, Publications of the House of Culture and Arts, 1st edition, Baghdad, 1978.
- The New Testament Bible, Dar Al-Ketab in the Middle East, 4th edition, Beirut-Lebanon.
- The Bible the book of the Old Testament and the New Testament, American Torah Society, British and Foreign Torah Society, Cairo, 1938.
- Ibin Katheer, Al-Hafeth Imad Al-Deen Abi Al-Feda'a Ismail Al-Qurashi Al-Demashqi, Prophets' Stories, ed. Ali Abdul Al-Hameed Abu Al-Khair and Mohammad Wahbi Suliman and Ma'roof Mustafa Zureiq, Dar Al-Kheer for publishing, 8th edition, Damascus, 1998.
- Muftah, Mohammad, Poetic Discourse Analysis (Intertextuality Strategy), The Arab Cultural Center, 4th edition, Dar Al-Bayda'a, Morocco, 2005.
- Yaqteen, Saed, The Openness of Narrative Text (text-context), The Arab Cultural Center, 1st edition, Beirut, 1989.
- Yaqteen, Saed, The Speech and the Tale is an introduction to the Arab Narrative, The Arab Cultural Center, 1st edition, Casablanca, 1997.
- Yousef, Esam, Al-Esraa w Al-Mearaj The Great Miracle, Dar Mashareq for publishing, 1st edition, Talbyt Faisal, Egypt, 2008.